قطار خرجَ عن السكة

ارتطامات ومجازات

قطار خرجَ عن السكة.. ارتطامات ومجازات

وليد الشعيلي (كاتب عُماني)

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عُمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

المدير العام: د. باسم الزعبي

لوحة الغلاف: Matisse

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عُمان: (2021/4114)

ISBN: 978- 99969- 868- 2- 6

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6749)

وليد الشعيلي

قطار خرجَ عن السكة

ارتطامات ومجازات

بمناسبة عيد الحب

كلما مرّ عليّ عنوان رواية «الحب في زمن الكوليرا»، مباشرة يتحول العنوان في رأسي إلى: «الحب في زمن الواتساب».

***

أحيانا، كلمة «أحبك» في الواتساب، ثم كلمة «أكرهك» في تسجيل صوتي، تشعر أنها مجرد تقنيات لا بد منها.

***

حين تعصرين «ليفة تنظيف الصحون» تذكّري ملامحي الناحلة في هواك.

***

في إحدى الأمسيات الحوارية، كانت الفتاة المنقوشة يدها بالحناء، تشبه فتاة قديمة في حارتنا البعيدة، كانت تناول المتداخلين المايكروفون، وحين ناولتني المايكروفون – وكوني يتيما – شعرت أنها تناولني وردة، فاكتفيت بالشمِّ وعجزت عن الكلام.

***

الحب القصير لأجل الزواج يشبه فترة الخطوبة تماما في الزواج التقليدي، ولا فرق بينه وبين الزواج التقليدي؛ الحالتان واحد تقريبا طالما انتهتا بالزواج،

أما الحب الحقيقي فحكاية أخرى متأوّهة المسافات ومؤلمة الجمال والقبح، وتنتهي بفراق غريب غالبا.

***

يروي بيجوفيتش مرة عن ملاحظة أحدهم حول قصص الحب، إذ إن القوية منها تنتهي بالفشل أو موت العاشق، بينما الضعيفة تنتهي بالزواج. وفي هذا الشأن لا يمكنني أن أضيف سوى أنه علينا ألا نتوغل أكثر في الواتساب.

***

نباتات «مَلكة الليل» المنتشرة في ليل عُمان والمزروعة بكثرة مؤخرا، ترى من تريد أن تجذب أو تخدع بكل هذه الرائحة الفوّاحة؟

***

بالصدفة كان ينظر لواجهات محل البيتزا الزجاجية، رأى حبيبته أيام الجامعة تضاحك رجلا وطفلين على طاولة داخل المحل، نامت قطة بكل حزن تحت جدار بعيد.

***

ركبتي متشققة، لكثرة ما تعثرتُ بالرموش.

***

طيور الضغوة في ساحل الباطنة: سمك لعيون امرأة بعيدة.

***

أنا لا أحبكم ولا أكرهكم، هذا شعور جديد توصلت إليه مؤخرا.

***

يداها حائرتان، وكان لا بد من رمي الرز في القِدر كي تعرف رأسها من رجليها في هذه الحكاية!

***

في عيد الحب هذا: انظر أيضا بحب إلى نفسك أحيانا.

***

الليلة بالصدفة التقيتُ زميلة دراسة سابقة وفاتنة، وقلت لها أنا فلان والتقينا قبل كذا عام في الجامعة الفلانية، وكنا في المحاضرات نفسها يوميا والحكايات نفسها، هل تتذكرين كذا وكذا معي؟

قالت: «المعلومات صحيحة لكنني لا أعرفك ولا أتذكرك!».

فتهتُ في شوارع صحار، لا أشعر حتى بدشداشتي، انتشرتُ في الظلام والبرد، والأحلام واليتم، بوجه أصفر، وظللت من خلف كل زجاج العالم أرمق وحدتي التي لم تسعفها اللغة، ولا تقليعة «الكمّة» العُمانية المخيطة باليد، إلى أن ذبت في أضواء البيت وكذب الفاتنات.

بمناسبة انبعاث دخان من حفرة بأحد جبال شناص واحتمال بركانيته

تحرش بي الصديق خالد السيابي حين أشار لي بأن الحالة: «جبل يُشيّش»، وأنا لا أحتاج لدليل بهذه القوة على أن الشيشة لا تضر.

***

أعرفُ جبلا يُشيّش كل ليلة، وتخرج نيران من قمّته ومن تحت إبطه، ولا يدري به أحد.

***

ترى بماذا يفكر الدخان حين يخرج من الحبس؟

***

هنالك من ينظر للدخان الخارج من جوف الجبل بعين الآخرة.

***

صورة الجبل المدخِّن أظن أنها مثال كافٍ لكل مكتئب.

***

الأبخرة الخارجة بعد الانصهار سيسقط رمادها في وادٍ، ويذوب ككل إنسان نشط.

***

في حالة أنه بركان، ترى ماذا تريد أن ترمي بداخله لينصهر؟

لماذا بحثكم وتفكيركم الأوّلي منصبّ على البشر والجنس الآخر خصوصا؟

***

«بركان شناص»، عنوان جيد لفيلم سينمائي، يخرج فيه ممثل ثانوي من خلف الجبل الواقع في منجم المندوس، غير واضح المعالم، الكاميرا فوق جبل آخر يعصمها، وتحلم بالسحاب.

المخرج يده في جيوبه مطمئن للعنوان المخاتل، والمقصود به البطلة.

***

الوادي حُلم الجبل.

***

كان بداخلي بركان ملتهب إزاء أدنى شيء، لكن مؤخرا أصابه خمول وتبلد ولم يعد حتى يتحرك؛ لأن الحياة لا تستحق كل هذه الحمم.

***

البركان رسائل الجبل للحبيبات.

هواتف

طوال الليل، بعد أن أطفئ أضواء الغرفة، وأملّ من اليوتيوب، أضع سمّاعة الهاتف في أعماق أذني القصية، أديرُ أغانيَ بعيدة، وأحلم حتى مطلع الفجر.

***

العُمانيون الذين قبل ظهور الواتساب، الذين يعملون لك رنة في ثوانٍ للسلام عليك، يوم كانت شريحة الاتصالات بثلاثين ريالا، والدقيقة بسبعين بيسة، وثمة من كان يضع الراديو قرب الهاتف فيصطادك حين تصله الذبذبة قبل الرنة:

لم يعد في الواتساب شيء يقال.

***

هل الرسائل الصوتية مرآة الوحدة؟

***

أحيانا آخر الليل أخرج من الواتساب كمن يغلق كتابا ويحلم أو يبكي.

***

حين أموت ادفنوا هاتفي معي؛ فالعمل والأفلام والكتب ورهافة المواعيد وأغانيّ المفضلة ورسائل الورق وهواء المسافات وزهوراللليل والشتائم والأحضان، كلها فيه تحوَّلتْ لهاتف وشاشة صغيرة مؤخرا.

ادفنوه معي رغم أن الرسائل النصية للاستقطاعات البنكية ستظل «تمردغني» هناك ولا شيء يعصمها عني.

ادفنوه معي فربما أضطر لبعث رسالة واتساب لجروب الأحياء مفادها:

اجروا أكثر وأسرع كي تصلوا إليّ هنا مرهقين حتى الثمالة!

***

الهواتف العملاقة الآلية الملصقة في جدران العمارات والمنصوبة في أطراف الشوارع كانت أكثر صدقا وذكاء من اللوحية الحالية، كانت حميمة كنجوم قريبة.

***

أكبّر بأصابعي وجوه الكثيرين، عبر شاشة الهاتف أو الواقع، أنا مدمن تحريك السبابة والإبهام لتقريب كل وجه، ثم أقوم بتصغيره وإعادته لبعده السابق الأجمل، أو حجمه الذي يستحق. أفعل هذا في كل مكان، حتى خارج الشاشة، ثم أرمي نفسي على السرير شاحنا طاقتي كي لا أنطفئ بسبب أصابعي والملامح البعيدة.

***

أنا الذي اكتشف فجأة أن ملصقات الواتساب بهاتفي لا يوجد بينها ملصقات حُب ولا ملصقات أحضان كي أضيع في النظرة، رغم أن الحب أصبح واتسابا مؤخرا، ملصقاتي مجرد ورود خجولة شبه ذابلة من قلة الحيلة، وكثرة المجاملات والمبالغات، أو ملصق جملة صباحية كاذبة رغم

أن شفاهنا وأوردتنا مقدسة، أو وجه ضاحك منحه البرنامج نفسه صدقة جارية لي، أو يد ناحلة وقاحلة تشير إلى نهاية الرحلة، أو ملصق صورة حسينوه «ميت ضحك» على أحوالنا؛ نسخته واحتفظت به بعد أن بعثه لي أحد الأصدقاء الملصوقين بي، إذ تحولت كل المشاعر فجأة من محادثات واتساب نكتبها إلى ملصقات صادقة وكاذبة ومختصرة وجاهزة لعبارة شعورية، أو قلوب عملاقة جافة، أو كلمات رنانة لا تصل إلى المخ، والشمس، هكذا تبدو الحياة مؤخرا: ملصقات واتساب، وبصيرة نخرة، وخوف من كورونا، وأسوار جديدة وكثيرة عالية.

بمناسبة كورونا في بداية ظهوره

عيناكِ أجمل بالكِمامة.

***

أحيانا أشعر أن الكِمامات تشبهنا، وأنها هي وجوهنا وملامحنا الحقيقية، نخفي أشياءنا ونهرب ونضطر أن نعيش بوجوه أخرى غير حقيقية.

***

ينتهي كورونا بالموت أو الشفاء ككل قصة حب.

***

شيء يتغلغل في الغصون حتى تذبل الأوراق.
(شجرة غاف تجيب سدرة عن تعريف كورونا والحب معا).

***

الفيروسات التي لا تجد الأجساد، كيف تقضي ليلها؟

***

كيف أصارح الفيروس بأنني أرغب أحيانا في القتل أنا أيضا؟

***

الآن، وقد مات الكثيرون، من يعاقب الفيروس؟

***

أعقّم يدي من الانتظارات والملل، أو أعقمها من الذين عرفتهم يوما.

***

أفرك يدي كثيرا بالمعقم، من الغم والغصة، وليس من كورونا.

***

الجلوس مع البعض مرض، حتى بدون كورونا.

***

حين تضع يدك المعقمة في جيب دشداشتك في المساء والذكريات، تختفي الأصابع مسرعة بلا جهات وفارغة من رسائل الحب في الواتساب والأحلام.

بمناسبة ظاهرة القمر العملاق الليلة

أحاول تثبيت نظرية القمر دوما بداخلي: طالما أنت بعيد عني فأنت «منوّر».

***

في مسقط غير آبهين بالقمر العملاق؛ لوجود قمر آخر في شقة مغتربات مشتركة.

***

منذ زمن لا قمر في السكة.

***

بحبّك ما بعرف هنّ قالولي.. ومن يومها صار القمر أكبر «عَ تلالنا»
(سعيد عقل/ فيروز).

***

القمر الليلة اتساع دائرة قديمة. هل تحلمين مثلي؟

***

يمر القمر فوق البيوت، وبين الأشجار، وفوق سكنات العمّال، وداخل مجرى الدم، وخلف قلعة صحار قبالة البحر، وأنا لا أزال أُخرج الأصدقاء الراحلين من قبورهم أشحنهم بضوئه وأعيد الاتصال بهم.

***

كم «عسقة موز» يبيعها الفقراء فجرا تحت ضوء القمر؟

***

كم نخلة ستحاول الليلة أن تلمس القمر برموشها؟

***

نسخة إلى القمر الذي نسينا.

بمناسبة حظر التجول الليلي أيام كورونا

تصرخ عيناي من فوق السطح للسكك المدلهمة الساكنة، تتبعهما النجوم، تماما كما التقينا أول مرة في حديقة اليوبيل.

***

«كان كل منا يرى الليل للمرة الأولى» (ريلكه).

***

يا له من مشهد، الليل مفتوح الحدقات بكل ما أوتي من ذهول متعجبا من أحوال الدنيا والإضاءات السائبة، أتراني أعني ذاتي؟

***

ربما الليلة ظهر الوجه الحقيقي لليل؛ فالليل ليس ليلا، الليل مجموعة أشياء تحجب الشمس: ربما عباءات طالبات الجامعة، أو أشواقنا المعتقة، أو لذعاتنا الأولى في الحب، أو حبل غسيل في الفضاء مملوءًا بالسراويل القديمة الواسعة المطرزة من الأسفل ككل نهاية، وليس من واجب الليل تفسير ذلك كل ليلة لنا، وليس واجب النقد كذلك.

***

سوف أجلس طوال الليل في الحوش على كرسي بلاستيكي لا أفعل أي شيء، مجرد نسخة من لا جدوى كل شيء.

***

هل يفتقد الليل أغاني السكارى في السكك؟

***

شوارع خالية باتجاه النهاية.

***

حاول الليل إقناعي بفتح باب البيت له، حاولت كل هذا الوقت، وبكل الحيل أن أقنعه بأن الحياة ربما بها بعض المعاني في الخارج، هزمني بجملة واحدة ومضى، تركني أعضّ روحي بأسنان بها حساسية تشبه التّماسَّ الكهربائي، قال لي: لا شيء في الخارج ولا في الداخل!

بمناسبة عودة نشاط الخياطة بعد غلقه بسبب كورونا

لا أرتدي دشداشة ملونة بتاتا، كل دشاديشي بيضاء بنفس الشكل والمقاس، كي لا أحار ماذا ألبس، وكي أنسى أي ذكرى لموعد، وكي أمضي بعد ذلك في البياض كما عشتُ طوال حياتي.

***

من ياقة خيوط دشداشتي العُمانية (الفرّيخة) تأخذني الأيام لحتوفي.

***

على الشاطئ
كان الموج يهدر في حضنكِ «المخوّر»
وأنا كنت أرفع طرف ثوبك
عن نهايات الرمل.

***

أغار حين تبعثين رسالة واتساب صوتية للخياط، أشعر أنها مطرزة بنظرات وابتسام.

***

فستانك الأزرق حزين في الخزانة والمواعيد، هكذا أخبرتني جرادة على عمود إنارة قرب جسر صلّان.

***

ثوبكِ المطرّز مخوّر الصدر، ومتداخل الألوان، الذي ارتديتِه في ثاني أيام العيد الصغير: كان مليئا بالثقوب السوداء الفيزيائية التي ابتلعتْ كل رمش قاحل في السكة.

***

حين ترتدين «اللندني»
تَشابُهُ «الشيلة» والثوب
يجعلك مختلفة.

***

ارتداؤكِ موديل مغربي متسع الأكمام هذا العيد، أوحى لي أن كمّك متسع للجميع عدا حريري أنا.

***

بين الثوب المخوّر والثوب المخرّم وثوب السكون تختبئ الأحلام يا فيروز.

بمناسبة طقوس الشواء العُماني في التنّور

في التسعينيات، رمى أحد الجيران في تنور الحارة المضرمة فيه النيران والأحلام الحقيبةَ السعفية المملوءة باللحم وورق شجر الموز والشوع، بأن رجع للوراء خطوات كثيرة، وجاء راكضا كقطار هادر، وقبل الحفرة بمترين أو ثلاثة رمى رميته القوية المتقلبة في الهواء والموفقة بكل إتقان. نظر إليه الجميع بانبهار وإعجاب، كيف استطاع فعلها؟ كانت لقطة العيد التي شغلت الدنيا أكثر من المتنبي. في الليل، في السهرة، سأله أحدهم عن هذا فقال: السر في الشكل الدائري، كل ما هو دائري يسهل اللعب به، أليست حياتنا دائرية؟

***

الحب مثل تنور عيد الأضحى؛ نار كبيرة وملتهبة في الداخل.

***

العلامة الدالة التي يضعها المرء على كيسه من الخارج كي يتعرف على التي تخصه حين تخرج أكياس السعف متشابهة في الغد، تكون أحيانا علبة غازية فارغة، أو حديدة على شكل حرف، أو صفيحة معدنية ما، وضع أحدهم مرة علبة بيرة أيضا، ماذا لو وضع أحدهم صورته مبروزة في هذا الجحيم؟

***

طقوس رمي الشواء في حفرة النار كأنها رمي القرابين للأم الأرض، طقس مخمور وشهواني، في الغد جاؤوا لإخراج لحمهم من التنور، أزاحوا الغطاء بعيون غائرة في اللذة، تخيلوا الرائحة بأنوف سكرانة، نبشوا عميقا بخوف، لم يجدوا ما وضعوا، نظروا لبعضهم بعضًا بحرقة واستغراب، طاردتهم الحفرة في نومهم واللهب أكل مخهم، لحس الوقت أصابعهم ومزاجهم، يا لجنونكم!

***

حين يستخرجون الفحم من التنور الذي برد لاحقا، وحين يعيد البعض استخدامه لتدخين الشيشة، وبينما يمضي الدخان الجديد في المهب والحقول في المسافة بين الحفرة والتلاشي الأخير هذا، ترى هل هذه صورة أخرى من العدم؟

«زمن الهموم الكبيرة»

مـرة أخـرى، في هـذا العيـد أيضـا، وككـل عيـد، تجتـاح إعلانـات عمـل «التمصورة العُمانية» لشخص آخر بمقابل مادّي جروبات الواتساب. هنالك من يمشي في مساماتكم.

***

العمامة الجيّدة تلك التي يمكن خلعها ولبسها أكثر من مرة دون أن تتلف التمصورة المكلفة.

***

ماذا ستقول لحبيبتك حين تقول لك: «تمصورتك حلوة»؟

***

ماذا لو فتح أحدهم دكانا لعمل «التمصورة»؟ هل هناك تخفيضات لمن يحمل «مصرّ أبو غزالة»؟

***

هل يمكن توزيع بعض عاملي «التمصورة» في نقاط معينة على الشوارع بحيث إذا ما تلفت التمصورة تتوجه لأقرب نقطة لإعادة لفّها؟

***

حين يعمل لك شخص آخر تمصورتك، ألا تشعر أنك لست أنت؟

***

عليك أن تحضر كمّة (طاقية) معك كي لا تنطفئ قرب زوايا الصباح.

***

أثناء التمصورة لا تكن أعصابك مشدودة، امنح العمامة قلبك القروي المطلي بالأحلام.

***

حين تلامس أصابع صانع التمصورة رأسك: ألا تشاركني التفكير في أنه ربما كانت هناك رواية مخبّأة لعلي المعمري لم تنشر، ومات دون أن يخطر بها أحدا؟

***

حين تفكر في أن تذهب للفّ التمصورة، هل هذه قضية تشغل عقلك أم رأسك؟

***

ربما سيظهر لاحقا في عُمان موضوع جديد نفسي هو: شخصيتك من خلال تمصورتك، وربما تقوم الفرضية على أن الذين يذهبون لِتُلفّ لهم تمصورة بمقابل مادّي أشخاص يعانون كثيرا من متلازمة سلام العيد.

***

أتعرفون؟ لو كانت لدينا سينما حقيقية لكانت هذه ثيمة لقصة رجل أصبح مليونيرا، كانت بدايته أن يعمل «تمصورات» للآخرين بكاميرا علوية حيث الشوارع تطارد أبناءها.

***

الذي يصاب بالنعاس أثناء لفّ التمصورة على رأسه: هل يشعر في لحظة ما أن الحياة زائفة؟

***

هل يوجد «واي فاي» في مكان لفّ التمصورة؟ أحدهم يتساءل.

***

الذي ينتظر دوره في لفّ التمصورة: هل يشعر بالملل أم بالألم؟

***

«التمصورة»، يجب ألّا يُفهم المصطلح على أنه لفّ ودوران على رأس الزبون.

سعفة تدغدغ رغباتنا

تزداد أنفاس النخلة حين نتسلقها.

***

حبل طلوع النخلة يبلغ ذروته وقوته في قمة النخلة، لذا يسقط البعض من الأعلى، ومع ذلك يكرر الطلوع مرات أخرى؛ لأن ثمر النخلة ناضج، وخوفا من سرقته أحيانا أو يباسه.

***

أترانا مرضى وموسوسين حين نخاف على النخلة أن يجنيها غيرنا؟ أم أن النخلة تريد أن ترد لك طلوعك لكل النخيلات أمامها؟

***

كيف تشعر النخلة حين يعتني صاحبها بنخلة أخرى؟ هل تُظهر شوكها؟ أم تترك عذوقها دون سعف في العراء؟

***

ثمة قارئ يتفرك بليف المجاز، ويضحك على النخلة وصاحبها، ويقول إن الصورة في النهاية هكذا: نخلة وجاني ثمر، ولا نعرف غير ذلك.

***

أستغرب من الذي لا يهتم بالنخلة ويريد منها ظلًّا وثمرًا شهيًّا.

***

لا يستحق ثمر النخلة أحيانا كل عمليات التنظيف حولها ومُداراتها وبذل الوقت والجهد، لا يستحق ثمرها كل هذا الشقاء.

***

هل اقتلاع النخلة المُتعَبة القديمة والطويلة يعد نكران جميل؟ أم أن الحياة ما عادت تحتمل عدم العطاء؟

***

النخلة الجميلة ليس لها أصدقاء حقيقيون.

بمناسبة الإجازة

الإجازة الجيدة هي تلك التي لا يراك فيها أحد.

***

مُجازات يجلسن أمام شاطئ صلّان بصحار يتحدثن عن سارتر وعن بعض منشورات الدكتور هلال الحجري ومقولة لناظم حكمت حول النساء والبحر.

***

الإجازة حلوة بس نفهمها، مع الاعتذار لفريد الأطرش.

***

حين تتداخل وتندمج الإجازة مع الجمعة والسبت فإن هذه وشيجة جيدة. يستطيع البعض أن يقول إن الحياة لا يزال فيها سرور.

***

ترى أين يقضي المتقاعدون الإجازة؟

***

في الإجازة لا يمكنك أن تنسى الاستيقاظ.

***

كان يوما ثقيلا بعد الإجازة حين غادر من العمل ودخل البيت، وجد مجموعة من شعراء الجاهلية يشربون نبيذا قديما تحت البيذامة، أغلق

الباب وذهب للداخل دون أن يكلم أحدا منهم، نظر من نافذة الصالة إليهم، لم يجد غير سنواته القادمة.

***

هنالك أيضا دائما من يستيقظ مبكرا وبسهولة في الإجازة، على عكس أيام العمل.

وهذا طبع كل غابة يابسة ربما.

***

علينا أن نترك متلازمة أن الآخرين يقضون الإجازة بشكل أفضل منّا؛ كي نتشرّب هسيس الإجازة في مروج الروح.

بمناسبة رمضان

أنظر إلى طفولتي من ثقب «الدونات».

***

أتذكّرُ راحلين، كانوا حولي في موائد إفطار رمضانية قديمة، توزّعوا في «اللقيمات».

***

الكنافة الجيدة بها قشطة خفية في جزء ما غامض لكنه لذيذ.

أما الكنافة السيئة فهي تلك التي تتماطى كي تجذب الآخرين.

***

وأنتِ تتناولين «اللقيمات» تدهسينها في «الشيرة» بكل زعل وألم، كمن أطفأت عقب سيجارتها وخلدت للنوم.

***

وأنت تفتتين الخبز لأجل الثريد، انظري قليلا إلى ساعة عودتنا.

***

أبحث قرب الدكاكين القديمة عن ابن عمي الذي مات كي يريني لسانه إن كان صائما، أو جائعا. ما أطول الغروب اليوم!

***

وأنتِ تأكلين الثريد غدًا عند الغروب، تفرّسي الصحن جيدا، انظري كيف عجنتنا الأحلام!

***

كورونا الذي يفطر معنا وقت أذان المغرب، سأترك هذا المجاز ناقصا، كي لا يصيب النقاد أي فيروس.

بمناسبة إعادة فتح الحلاقين وصالونات التجميل أيام كورونا

كلما ارتحتُ إلى حلاق.. اختفى.

***

لا أذكر أين مرت علي هذه الصورة الشعرية أو السينمائية:

امرأة الشاعر أو البطل كانت تطلي أظافرها بنزف دمه.

***

ترى حين تنام تحت يدي الحلاق، فهل هو دليل على أن الحنان في اللمس؟

***

حين أرى لحيتك كأنها محددة بمسطرة وبشكل مبالغ فيه وبلا غلطة، و«الزلف» كذلك بلا غلطة، بتقليعة متقنة، أشعر أن الأمر غبي ربما وثمة شيء ناقص فيك!

***

ترى، حين ترى حبيبتك هذا التحديد المقنن والأصح من الصح، هل تشعر بالخوف منك؟

***

أحيانا لا يمكنك تذوق جمال الأغاني الهندية إلا في الحلاق.

***

اعتدتُ على عدم الذهاب للحلاق، ظلت الشمس تشرق، والكلاب تعوي كآخر كل ليلة في سكتنا، والقطارات لا تزال تعبر حارتنا، وكذلك الغيوم، الأجنحة ترفرف باتجاه الأبدية، والقطط كذلك ظلت كعادتها تدفن فضلاتها وتمضي.

***

رغم فتح صالونات التجميل إلا أن «الحف» بالخيط ممنوع تقريبا، ألم أقل لكم منذ زمن أن كل مشاكلنا بسبب الاقتراب أكثر؟

***

وأنت «تحفّين» جفنيك بالخيط، تذكري جفنَي المفتوحين على هواك طوال الليل.

***

صوت «السشوار» يبحث عن اللذة الهاربة.

***

وأنت تنتظرين دورك في الصالون تذكري ليلي الطويل في المكتبات كي نصل إلى اللذة في اللغة.

***

صدى أغنية هندية متداخلة مع أزيز ماكينة الحلاقة الكهربائية، في الحلاق المحشور في قبضة مبنى قديم. تعبر في المرآة فتاة قديمة بضفيرتين منسدلتين على أذنيها تضاحكان السكة. كراسي الانتظار خلفه تبتسم للداخلين، توقف صوت المكينة الناعس، يلقي نظرة أخيرة على جانبي وجهه في المرآة، تلتمع خيالاته، تندلق أحلامه في الشوارع.

بمناسبة المنخفض الجوي

يخجلني أن تبصر المنخفضات الجوية التي تأتي إلى عُمان برودي الأخير للأشياء

***

أتمنى أن تعيريني اهتماما كما يعير العُمانيون وخبراء الطقس هنا المنخفضَ الجوي اهتمامهم، وإلا ذهبتُ إلى وادٍ آخر يجرفني من ثقوبه في قرى قصيّة أنسلُّ في شراييها.

***

أتمنى لو كنتُ منخفضا جويا، وأترك سماواتي، وأدخل قريتك أبلل عينيكِ وشجرة الشريش النائمة في الحوش، ولا سنوات ملتصقة بالنوافذ ولا ندم ولا غرف مستأجرة ولا هم يحزنون!

***

في المنخفض الجوي لا أعرف أين تختفي القطط، هكذا دوما أبحث عن الآخر في حياتي!

***

المنخفضات الجوية تطارد قمر القرية الناحل، هكذا نفسر الأمور نحن الذين لا نملك غير المجازات في الأسفل.

***

فوق السطح الآن، أراقب الغيوم البعيدة، يا قلبي الضائع خلف جسر صحار، و«دكان كل شي بريال» القديم، وأحلام عمّوتي مريم مصبّح في شقة عمارة الحاج خصيب مقابل مطعم عمر الخيام الذي رحل مع الشاعر هو الآخر، ونسخ أشرطة الأغاني والفيديو، وظهيرة الشاي، والكلمات المتقاطعة في جريدة الوطن، وباص المدرسة ذا الخطوط الخضراء في كل صباحات العمر، وشريشة حوش البيت البعيد التي تركتني وحيدا، الآن ألعن الذكريات والحنين..

من يغسل كل هذه الأشواك والورود في رئتي؟ أيها القلب المشوش كبعض موجات الإذاعات، كم مرة سأتركك تبكي وأختفي عنك في الظلام؟!

نظرية البهجة لدي

السعادة أحيانا هي رائحة دخان الخبز العُماني فوق «الطوبج».

***

المشي الطويل يداوي كل جرح.

***

أظن ميزة ممارسة المشي أنه عندما تطلق العنان للجسد وتحرره يعني في الوقت نفسه إطلاق العنان للفكر والحلم أيضا.

***

أنا سعيد جدا اليوم، ليس لأنه يوم الخميس، بل لأن زملاء العمل يقولون لي ما معناه: «نحن لا نصادفك بتاتا خارج العمل، حتى في الإجازات، ولا نعرف أين تذهب».

يبدو أنني نجحت إذن في الاختباء والاختفاء عن الناس أو مصادفة الذين أعرفهم، رغم أنني وسطهم. أنا متوهج جدا الآن، وهذا يكفي رجلا جائعا في ظهيرة بائسة.

***

وأنا أرى اليوم قائمة أرقام الأسماء المخزّنة في هاتفي، رغم كثرتها، واقترابها من ألفي اسم، لم أجد صديقا جيّدا بينها، أو مقرّبا، أو حبيبة لقلبي الأحمق، أو رقم مطعم غير منسي.

ربما نجحتُ في تسطيح كل شيء، والعيش في برود مشيّد ومقصود، أحدّق أكثر في القائمة، العالم أصبح أجمل.

***

ميزة مطعم رياض أنه يقع مقابل وحدة بريد صحار تقريبا، تأكل وتقرأ رسائل الأيام في العيون. منذ أن وعيت للدنيا والمطعم موجود برئيس عمله الباكستاني نفسه الذي يشعرك أنه لا يريد المال وإنما الرضا عن الطعام، مسالا دجاج تتعجب من أمرها مصبوبة فوق رز «مكبوس»، كفتاة بشوش، مهما غسلت يدك يبقى الزمن عالقا، أكثر من ربع قرن، حياة واحدة لا غير، خبز تنّور مبتسم طوال الرحلة، والمجد للنادل المتقمص روح الطفل المتقافز. طيبته أغلى وجبة.

***

حين أحزن، أبحث عن أي سنّورة في السكة، أشكي لها همي، وأفتح لها حضني، بعيدا عن كل الكلاب.

***

لا أحتك بالناس كثيرا، أحب دومًا الجلوس لوحدي، تعلمتُ ذلك من قارب على رمل شاطئ صلّان.

***

قبل أن أخرج من العمل، أفصل نفسي عن المكان، وأفصل تفكيري عني بشربة ماء، وأفصل عظامي عن الإنترنت، وأفصل عمامتي عن مراياي، وأفصل ساعتي عن غدي، أصمت قليلا، أفصل ذاكرتي، أترك نسختي هذه،

ثم ألتحق بشبكة المساء الحانية، أتذوق الحياة جرعة واحدة، ثم أملأ سلالي بالنوم.

***

احتفلتُ البارحة مبكّرا بالسنة الجديدة؛ إذ جمعتُ صورَ جيراني وأصدقائي وصورة أحد أجدادي، وأضرمتُ فيها النار فأضأتُ بهم السنة القادمة.

***

أصبحتُ لا أزعل ولا أغضب أكثر من خمس دقائق؛ إذ سرعان ما أقول لنفسي ليس هناك ما هو أهم منّي، فأعود لأفلامي وأغانيّ أو مطعم مفضّل أنسى فيه أنني أتيتُ أساسا للحياة.

***

الآن عالمي محدود أكثر، خصوصا في الليل، مع حظر التجول الذي فرضه كورونا، كأني في بيضة، ولا أريد أن أفقس أبدا، ذائب في هذا الاحتواء الحالم بعيدا عنكم، أطل من النافذة على غياباتكم الحميمة.

بمناسبة كسوف الشمس

ترى ما الذي يجعل القمر يأتي بين الشمس والأرض منحشرا بينهما كاليتيم؟ هل سرقت مصابيح الشوارع منه الطريق الليلي وضحكات الفاتنات والمواعيد والأحلام وبات قلب المساء ينبض تحت إضاءات أقل تشتيتا؟

***

ما للشمس تتنازل هكذا عن قمم الجبال وروائح الأشجار واخضرار سيح المكارم بعد المطر وصفحة مياه شاطئ صلّان ومكتبة إبرا تاركة لمعانها وخيوطها في مهب الشقق والاستراحات المشبوهة وليالي العواصم، متكئة بعينيها الشاحبتين على عكّاز الأماني؟!

***

ما لقلبي يطارد شمسه في الليل!

بمناسبة عودة فتح الحدائق والمنتزهات أيام كورونا

أصابعكِ في حديقة اليوبيل تقبض روحي كلما تذكرتها.

***

سأذهب الليلة لأي منتزه قريب في صحار، وأجلس في مكان منزوٍ، وسأضع ثلاثة كراسٍ فارغة أمامي، وسأوزّع عليها حَب عباد الشمس، وسأبث لها الواي فاي من هاتفي لتستخدمه مجانا، ونسرح معا.

أفعل هذا كي لا يقتحمني أي أحد من معارفي ويأتي ويقطع عليّ أحلامي.

***

أتنزّه في عينيك منذ أن افترقنا.

***

حديقة اليوبيل شرق صحار تأخذ قيلولة الآن، ورغم ذلك لا تزال كراسي الرخام تتسلق الأشجار.

***

مقابل سوق سمك صحار في آخر شارع الكورنيش، تغفو حديقة صغيرة، قرب دورة مياهها شريشة عملاقة قديمة، لها ذراعان من ورق وريش، تتلصص العباءات، تنصت لضحكات الأطفال، تحرس كلماتهم،

متمسمرة مثل نصب تذكاري عظيم، ألقي عليها السلام كلما مررت جانبها هامسا لها: أهلا جدتي.

***

في الخور العميق داخل حديقة اليوبيل أبصر أجدادا يرقصون على جراحنا.

***

عاشقان يجلسان على كرسي في منتزه الكورنيش. تحت الكرسي قطة غارقة في الدلال.

***

في أي حديقة أو منتزه لا أجلس في بقعة مضيئة، كي لا أكون شخصا آخرا لا أحبه.

***

البعض يطلق على منتزه المركز الترفيهي غرب صحار اسم: منتزه السنانير؛ فما إن تفترش حصيرك وتضع وجبتك حتى تتوافد القطط من كل نجمة وسماء وشجرة مقبلة جهتك، ومشكلتنا أننا بعد كل هذا العمر لا نريد أن نفهم أن القطط في عُمان تشبهنا وتدخل بيوت بعضها بعضًا دون إذن، وتجلس في الأعراس وتأكل مع أشخاص لا تعرفهم مثلنا، لكن العباءات الحميمة والحالمة والبسيطة العابرة جسور الليل وضفاف المنتزه تلفت انتباه قلوب القطط وحنينها أكثر من الأكل.

بمناسبة منع ارتياد الشواطئ أيام كورونا

«سافرت البحار.. لم تأخذ السفينة» (فيروز).

***

أجلس على الرمل مانحا الموج ظهري، لكثرة الذين طعنوني في حياتي.

***

البحر أمامي، والكورنيش خلفي، والموت أزرق.

***

يا بحر، لا أعرف لماذا كلما غادرتك أشعر أنهم يأخذونك من حضني.

***

أنا خائر القوى ومنهك تماما من مسح شَعركِ بيدي أمام البحر فوق كرسي الخيال.

***

أمام شاطئ صلّان بصحار جالسا لا أفكر في أي أحد.

***

دائما أمام البحر تأتيه زرقة أخرى.

***

التقيتُ البارحة دانتي صدفة، قرب فندق شاطئ صحار، قبالة البحر، كان يسمسر أرضًا في الجحيم.

***

حين دخل البحر البيوت في صحار، وجد أحدهم حورية البحر في الحوش تحتضر، وكي يعيدها إلى الماء، حملها بين يديه بنظرة لمّاعة وشهوانية، ووضعها في الصندوق الخلفي لسيارة اللاندروفر الحديدي المكشوف للسماء، وحين استدار شرقا لم يجد البحر ولا البيت ولا الحورية ولا أي أشرعة ولا شرفات ولا آفاق.

***

بالمناسبة، أشرعة وشرفات وآفاق، ملاحق ثقافية في جرائدنا العُمانية، ما عادت تصدر بسبب تراجع البحر في ذاكرة الرمل.

***

هواء عليل أمام البحر، رقيق ولطيف، لكن الزرقة الداكنة هناك غامضة، حيث الحوريات والساحرات يدخنّ بشراهة ويهرسن أعقاب السجائر في منافض أحلامنا.

***

«للبحر وحده سوف نقول.. كم كنا غرباء في أعياد المدينة!» (سان جون بيرس).

زرقة لا تنتهي

من غرائب الأزرق، أنه يكون داكن الزرقة بين الفجر والشمس، يا للفستان القصي!

***

من مغامرات الزرقة أنها تكون أحيانا في عينين.

***

الزرقة خيار إجباري في نهاية كل رغبة.

***

الرغبة في الحياة تنتهي بالزرقة.

***

الوجود أزرق داكن، نحاول فقط تجميله بنعته أحيانا بالبحري.

***

ستارة زرقاء خلف صورة جوازك/ وجودك، بعد ذلك تحولت الخلفية إلى بيضاء، تحسبا لأي زرقة.

***

شحوب الأصدقاء: هنالك من يحاول أن يقنع العالم بأن الزرقة ملساء إلى ما لانهاية.

بمناسبة اليوم العالمي للشاي

ظهيرة الشاي في بيتنا القديم، ذكرى حارقة.

***

إغراق خبز البراتا في الشاي، نهاية سوريالية.

***

خبزة جدتي التي نغرقها في الشاي في صباحات الماضي وندى الأشواق، ذابت مع غبار الزمن حتى أخمص قطرة حليب في الصالة.

***

في زاوية العمر تتبخر أحلامنا كدخان خجول يتصاعد من كأس شاي.

***

أيامي ترتشفني، لم أعد أشعر بأي حرارة.

***

لدي نوع من الشاي شهي ولذيذ لن أخبركم عنه، سأترككم هكذا غارقين ومعلقين في فتائل الرغبة.

***

كُثر في عُمان الآن يشربون شاي الكرك بجنون، إنه الثمالة الجديدة، ومصابيح الشوارع.

***

الشاي الجيد هو الذي يجعلك تصدر آهات بعد كل رشفة، ويظل جوفك بعده ساخنا طوال الأبدية.

***

معظم الذين يشربون الشاي الأخضر ينتهي بهم المطاف إلى الحقول الناعمة.

***

اللسعة اللاذعة الأولى عند ارتشاف الشاي هي صرخة الولادة عندما نندلق إلى هذا العالم.

***

أشرب ماء كثيرا كي أنسى الشاي والقهوة، وأشرب أحيانا العسل كي أتذكر بعض النشوة، ولا أشرب الفيمتو ليلا كي لا أتذكر أيّ حمرة، ولا أنصح أصدقائي بشرب الكحول أحيانا كي لا يتصارحوا بالمضمر، وهكذا تمضي حياتي في التفكير في الآتي والماضي، كي لا أشرب من وريد أي ندم وأيّ ذكرى.

أنا والفلوس

الفلوس تجعلك تقول كلاما لا داعي له أحيانا، تكسرك أخلاقيا في اللاشعور مهما كنت حكيما بينك وبين نفسك تجاهها، ولا أعرف أحيانا كيف أترك التفكير فيها وأعود إلى الكتب!

***

بسبب عسر الحال لدى الكثيرين تتحول كثير من قصص الحب الصادقة والعلاقات الحقيقية وعلائق وعلاقات الدم إلى الاستلاف والتسلف المالي، تتحول رغما عنها إلى فلوس، أو اعتذارات متكررة عن عدم القدرة على التسليف، رغم أنه ليس بود المرء أن يكون الحب فلوسا.

***

من مساوئ الفلوس أنها لا تدعك في حالك وتأخذك وتلتهمك بيسة بيسة.

***

ليست فلوسا التي لا تؤلم.

***

يخاف دوما أن يكون مجبرا على صرف الفلوس في تغطية مصاريف عزاء أحد أقاربه فجأة.

***

الفلوس مثل الذكريات البعيدة: ننسى تفكيرنا معها أحيانا.

***

كثر أولئك الذين يجمعون فلوسا في الخفاء، لكنهم في النهاية يجدون أنفسهم قد صرفوها مجبرين في ظرف ساخر وسخيف أحيانا. ألا يشبه هذا أيضا الموت الرخيص؛ إذ تنتهي حياتك في ظرف سخيف أحيانا بعد أن جمعتَ أيامك بصعوبة؟

***

معك أريد الحياة أن تكون ليست مجرد فلوس، لكن كلما حان وقت التطبيق أكون مفلسا على الآخر، بالتالي لا يمكنني أن أتأمل المعاني الجميلة دون وجبة جيدة على الأقل. الفلوس ليست كل شيء، لكن تلك التي تمنع جوعي هي كل شيء. وهذا يجعلني أترك دوما متسعا في آخر روحي لكل ما يثير مشاعري أكثر من الفلوس.

***

من يقترض منك مالًا يكرهك

من تقترض منه تكرهه

من يعيد لك مالك تحبه

من تتعامل معه ماليا مهما كانت مكانته منك سيثور عليك.

أي تعامل مالي بين اثنين: انفجار عظيم وفراق محتوم!

***

حين يكون عذرك أنك لم تأمرهم بإقراضك، حين لا ترجع فلوس من أقرضوك، فأنت لست سوى جثمان سعيد فقير لكل المعاني ما حييت، ومشتت ولا شيء لك في ذاكرتي.

أنا والخوف

لديّ خوف من العيد، ليس من العيد تماما، بل من الناس الذين يقتحمون في العيد انزوائي الضعيف.

***

حفرة الماكينة في المزرعة القديمة تخاف صوت الكلاب.

***

الفزاعة وحيدة وخائفة في الحقل.

***

حين تستيقظ وتهرش رأسك وصدرك، كأنه نوع من الورطة الأبدية، أتكون مرعوبا من مما سيأتي بعد الاستيقاظ؟ أم مما لا يأتي أبدا ومجرد عدم؟

***

أخاف أن يطّلع أحد على صندوقي الأسود، لستُ مستعدا لذلك الآن، أففف، لدي صدمات منكم وكراهيات بالجملة تزداد كل دقيقة، والخوف الأكبر أن يعرف البعض أنني ممثل بارع أكثر من توم هانكس وأحمد زكي وأمينة عبدالرسول، أو يعرف البعض أنني الآخرون ولستُ أنا.

أتمنى فقط ألا أنفجر يوما ويظهر الصندوق.

أنا والمطر

مطر مستمر طوال الظهيرة وللآن، مَن يعيد الماضي ولو مرة؟

***

صوت رعد شديد الآن في سماء صحار، سنواتي الأخيرة كلها قرقعة.

***

سقط المطر هذا الصباح بغزارة، ولم يقل أبي: «غطّوا سلندر الغاز». مرّت غيمة نثرت دموعا سخية على حوادث الأيام.

***

اختفى المطر بسرعة، لكن المساء بعده ظل مبتسما للآن.

***

شجرة البيذام حزينة تحت المطر.

***

هل ينقصني وسط المطر كل هذا؟ إذ تتجول الغيوم من مكان لآخر في قلبي، كم مرة سأختبئ في الغرفة عن سماء المدينة؟ عن المياه التي جرت في مخّي وأورثتني العدم وصهيل السكك وروائح طبخ الجارات القديمات قرب دكان أبو ريال؟ أين أهرب من هذه البنايات الطافحة بالكذب واليتم وسياط الإيجارات إلى أحلامي المنصبّة في البحر مع الأودية والمصابيح؟ كم صاعقة ستنكسر وتنكّس أحلامها حين أدير أغنياتي خلف صالة أوريدو للاتصالات؛ لأضفي حزنا جديدا حين تسلّمنا البروق والرعود للأرض مرة أخرى بلا عناوين ولا أوردة إلى أقرب مقهى شيشة أو شاطئ ناعس في صحار؟

أنا والعدم

أجلس على كرسي في كورنيش صحار، صدري مفتوح على آخره للبحر، أخيرا أرى أحلامي وجها لوجه، تخرج من كل مكان في جسدي، يدهشني تقافزها، أضحك وأهز رأسي، هذه أحلامنا التي خلفها نركض، يذهب بعضها للزرقة، وبعضها للزبد، أو بعضها ليس أكثر من بخار ماء.

***

أحتفلُ بعيد ميلادي في المرايا البائسة مواصلا اختفاءاتي، أشعل بداخلي شموع الماضي التي ذابت مبكّرا، ونوافير الندم المتفجرة في المصارين، أين أنا الآن في هذا الظلام من أيامي؟ في هذه اللحظة من اللهب؟ أين أحلام الغرف الضيقة ومناطيد كل الروائح؟ من يرشدني إليّ؟ لا المجمّعات الصحية، ولا دكاكين البانيان، ولا شوارع بانكوك، ولا مسرح مدرسة صحار الثانوية، ولا قصائد المعرّي، ولا أغاني فيروز وعبدالحليم، ولا سينما صحار، ولا المحطات الأخيرة، ولا غربان الباطنة، ولا نساء أعمال نجيب محفوظ، ولا المقهى الغربي أيام الضحكة الطويلة، ولا رذاذ الحنان، ولا النداءات الأخيرة في مطار مسقط، ولا الأرقام السرية لمبنى صلّان، ولا مزارع المشاتل في طريق الصناعية، ولا ألحان بليغ حمدي العبقرية.. أرشديني إليّ يا ذكرياتي ويا ملامحي ويا جروحي ويا كلماتي.. أين أنا اللحظة؟

***

بعد سماح البرنامج الوطني للتبرع بالأعضاء باستقبال التبرع، سأتبرع بأعضائي بعد موتي، أريد أن أرى قلبي أين سيذهب وإلى أين سيصل في النهاية؟ أما مخي فليس لدي مخ؛ وإلا ما واصلت الحياة إلى الآن، وكليتي أظنها متسوسة أيضا، رغم أنها محشوة بمعسّل ليس مغشوشا، أما عظامي فلعاملات المساج في بانكوك، وابتسامتي الماكرة امنحوها للحانات، أما حنجرتي فامنحوها كلبا ضالا.

***

مشكلتي الوحيدة مع النجوم أنها تضيء لسنة غير هذه.

***

لديّ مسدس أطفال، لعبة العيد الشهيرة، كلما بلغتُ المعدل الكافي للاختناق، وجّهته لدماغي وأطلقتُ صوته ودخان باروده.

***

وأنا واقف البارحة أمام البيت، مرّ علي كلب تبدو عليه أحزان المحطات الأخيرة، أخذ يحدّق فيّ، انفتح من عينيه بريد الليل، تذكرتُ أولئك الذين لم يولدوا بعد.

***

ما الذي سيبقى لي غير سنوات شبيهة؟!

***

بعد الهزة الأرضية في سمائل، توارى جبل صغير خلف قصيدة لسيف الرحبي قرب قرية سرور، ونظر باستغراب لكل سفن العدم الماخرة عباب الوادي!

***

كل صباح، أمام الحنفية، تدور حياتي في المرآة كما يدور الماء في البلاعة الصغيرة.

***

لو لم يتزوج أبي أمي: أنا من؟ في أي عدم؟ أو في أي زمن سأكون؟ تحت أي شجرة فيفاي أتذكر الروائح؟ هل سأظهر في شكل وبيانات أخرى؟ لو أحد أجدادي دهسته شاحنة غاضبة.. أو لاندروفر قديم قرب سوق السمك، ترى في روح أي حيوان آخر سأكون؟ يا لها من لعبة يانصيب!

***

افتتحتُ حسابا في «الإنستغرام» للمرة الأولى في حياتي، منذ يومين، كشيء جديد في السنة الجديدة، لكن سرعان ما حذفته اليوم هو و«تويتر» وركضتُ هاربا، إذ شعرتُ بالخجل الشديد، فليس من الجيّد أن أظهر لكم عاريًا في أماكن متعددة.

***

في السنوات الماضية لدي حالات متناقضة جدا:

- لا أنام كثيرا، فالحياة قصيرة، ساعتان أو ثلاث تكفيني وترويني وأسهر بعدها وأواصل الحياة وأشاهد الأفلام والدنيا.
- أو أنام كثيرا جدا قرابة اليوم لأنه لا معنى للاستيقاظ فالحال هي الحال، والحياة ستنتهي يومًا، نمنا أو لم ننم.
- أحزن كثيرا لحد البكاء لبعض حالات الوفاة وكأنها فقد شخصي، ويظل الأمر يعذبني طويلا.
- أو أحيانا أحزن لكن لاحقا، أو مباشرة أقول إن هذا أمر طبيعي جدا لا يحتاج للحزن فالطبيعة لا تحتفظ بأحد، وكم سيعيش إذن؟ حتى لو لم يمت اليوم سيموت لاحقا.

وهكذا حتى أخرج ذات يوم صارخا في الشوارع.

***

لا أعرف إن كان من السيئ أو من الجيد أنك مجرد قصة وتنتهي!

***

كنتُ نويتُ تخصيص بعض دقائق هذا اليوم لترتيب المكتبة وخزانة الملابس، ولكن استيقظتُ ممتعضا وساخطا وساخرا من عدم استيعابي للدروس؛ إذ ما جدوى الترتيب والتنميق إذا كنّا سنموت في النهاية وربما قريبا؟ أو ما الجدوى أساسا من هذا التجميع والتكديس الغبي بكل أنواعه؟ فأعود لفوضى وعدم قيمة الأشياء بداخلي قبل محيطي.

***

الإنسان قضية خاسرة، حين يموت كأنه ما أتى يوما، أو كان هنا بحبه وكراهياته وعلاقاته وأحلامه وندمه وهاتفه المحمول وذكرياته وقصصه الغريبة. يموت ويذوب في العدم وكأنه لم يكن شيئا.

***

في أي لحظة سنموت، أو حين نكبر سنموت، لا فرق كبير بعد ساعة أو بعد عشر سنوات، كأننا وجدنا لنموت فقط، أصبحت لا أعرف كيف أقوم بأي شيء؛ لأنني في لحظة ما لاحقة لا بدّ أن أموت، في نهاية المطافات سنكون مجرد قصة وانتهت لا أكثر، نحن موتى حتى هنا، نأتي للحياة لننتظر دورنا في الرحيل الأبدي وكأننا لم نأت أبدا وسينسانا كل شيء.

وحين يموت المرء تكون انتهت تماما فجأة للأبد المرة الوحيدة التي مُنحت له فيها الحياة.

أنا والحياة

رغم أننا كنّا نجري بسرعة عالية لكننا إلى اليوم لم نستطع اللحاق بسيارة رش المبيدات.

***

بدلا من أن تقدم على الانتحار، عش هنا كأنك ميت.

***

أنا أحترق.. أنا موجود.

***

لا أعرف ما قيمة الحياة بلا بلكونات أو شتلات، وقمر وحيد، وعيون مرتعشة، وكتب الفلسفة، وأشعار المتسكعين في أصقاع الندم، ومجازات الجسد الناحل، وجدران الغرفة التائهة، وشبابيك البرد نصف المفتوحة، ورقصات «الليوة» في الأعراس، ومشاكيك شارع صلّان، والبكاء خلف شاشات السينما، وكاميرا الهاتف، ولهاث أنفاسي أمام بيتكم، ورائحة الملاحق الثقافية تحت أمطار الماضي ورذاذ الذكريات إذ أجلس طويلا أطرّز أجنحتي.

***

ستستمر الحياة رغم غياب سيارة رش المبيدات الصباحية.

***

يقال إن قمة جبل شمس توجد بها ثلوج اليوم وباردة جدا، كعلاقاتي مؤخرا.

***

في حارة «الكبرة»، الاسم غير الرسمي لمنطقة السوق التجاري مقابل مستشفى صحار القديم والديوان، حيث كنا نعيش ونحلم في التسعينيات، كان الهنود والبنغال وبعض الباكستانيين يتجمهرون كأرانب ضعيفة خلف زجاج محلات تصليح الإلكترونيات، يشاهدون المصارعة الحرة، أو مباراة كريكت ساخنة، أو فيلما هنديا مليئا بالنساء، وقوفًا، وبلا نوافذ أو أسقف، ومساء كل يوم جمعة تزداد الجماهير العريضة والحالمة، فاتحة أزرار قمصان الدهشة، أصداء وعروض بدون صوت، فقد أطفأ عامل المحل الصوت وخرج أو جلس جانبا في المحل، ثم يتركون ذاكرتي وحيدة وينسلون إلى غرفهم البعيدة.

***

أنا الذي كنتُ أطير في العيد وأتدحرج في الأحلام والسحاب وفساتين الجارات، ما الذي حدث لي؟

***

الليلة، ذهبتُ إلى السيرك اللاتيني المقام في صحار، قرب مركز هدايا صحار، حاول الأسد ترويضي عن لبؤة قديمة عادت من غربة بعيدة، كاد الساحر أن يفضح أمر راتبي الذي تبخّر، ظلت البومة ترمقني لأني خرجتُ أخيرا من العزلة. حاولت كلاب مدربة إقناعي بالجلوس أكثر بعد العرض، لكنني اعتذرت منها لأن شجرة تتسكع معي في الشوارع منذ ليلتين وتنتظرني في الخارج، ثم أوقفتْ الفاتنة التي في شباك التذاكر كل حفيف الضلوع حين قالت لي بعينيها المبقعتين ببقايا الرذاذ والأحلام إن

العرض تم تأجيله الليلة، فقلتُ لها: «عيناك أجمل عرض»، فخجلتْ كثيرا، وخجلت الحيوانات أيضا، وشباك التذاكر، وأغاني طريق العودة، ثم ذهبنا جميعا لمحاولات النوم على جوانبنا الموصدة على نوافذ الأيام.

***

هل يعقل أن تكون هذه هي الحياة؟ استيقاظ وأخبار سيئة وأناس يتدخلون في شأنك رغم أنك لاشيء بالنسبة لهم وهم لاشيء في النهاية بالنسبة لك! هل هذه هي الحياة، أن تصاب بالملل من كل شيء وحين تحاول الخروج على هذا الملل يأكلك الذين لا شيء؟ ما كل هذا الشيء أو اللاشيء؟

***

حين أكون وحيدا، أستطيع لعنكم واحدا واحدا، وشتم كل غطرساتكم، لكن بصوت خفيض، كي أُعجَب فقط وحدي باستعراضاتي.

***

كل مساء يفتح باب حوش البيت لمارلين مونرو بفستانها الهامس، يسحب لها كرسيًّا بلاستيكيًّا أبيض، يقدم لها شراب الفيمتو، تزداد شفتاها حمرة، يدير لها من الهاتف أغاني سالم علي سعيد، يتأمل ساقيها اللامعتين تحت القمر، ويمضغ رئة الوقت.

***

عبدالحليم، وفيروز، وأحمد زكي، وتوم هانكس، ومارلين مونرو، وسعاد حسني، وأنيس منصور، وسالم علي سعيد، وما بعد البنيوية،

والفلاسفة الألمان، وقصيدة النثر، وأعمال بيسوا، وجارتنا صانعة اللبن، ولوحات فخر تاج الإسماعيلي وبدور الريامي، والسينما الإيرانية، والأدب الروسي، والكتابات العُمانية الصادرة عن دار الانتشار العربي، وسينما بلازا صحار، وسفير مول، وصورة الفنان في شبابه، والمركز الترفيهي غرب المدينة، ومنتزه الهمبار مقابل المجمع الرياضي، وسيناريوهات أحمد درويش الحمداني، وعماد الحوسني أيام الأهلي السعودي:

قضينا حياتنا نطارد الجمال والحب وألم الوداعات، ولا نَجِدُنا.

أنا والموت

حين يأتي احتضاري سأبلغكم، ليس للشفقة، بل للضحك، لأن هذا هو الطبيعي، أننا نجري ونكره ونشاتم ونجرح ونداوي ونذهب لمعرض الكتاب.. ثم نمضي لمثل هذه اللحظة وكأننا وجدنا فقط لأجلها، لا مجال الآن لإقناعي بشيء آخر اضحك فقط، وسوف تمر تلك اللحظة حين يأتي دورك أيضا.

***

عزرائيل في صحار، لا يبرح المكان، هذا الصباح خامس وفاة تقريبا خلال ثلاثة أيام، وخدمة قيراط صحار الواتسابية للجنازات لم تتوقف هذا الأسبوع يدججنا بها الباحثون عن الأجر وأسبقية النشر. قبض بالجملة، اقترب دوري إذن، ستُنصب لك الفخاخ أيها الصيد الغرير، فأصابعك مبللة دوما بالنهاية، وستفشل خطتك حين تقول إن جسدك فقط في صحار وإن روحك مشتتة بين مدن أخرى، ها قد أضعتَ الدليل إلى الهرب أيها الخوف الأنيق.

***

بعد أن مات، ظلت الحمامة التي تقيم في المكيّف لا تعرف عنه شيئا.

***

قبل قليل مررتُ من جانب المقبرة، ولأن جدارها قصير، نظرتُ للداخل، وجدتُ ميتًا أعرفه، يكوي دشداشته تأهبًا للخروج، تيقنتُ لحظتها أن الواتساب أفضل من الموت في إخفاء حالة الظهور.

***

باتجاه سيح المكارم، توقف أمام الإشارة الضوئية، تحت جسر صحار، السيارات العابرة بسرعة فوق الجسر تعوي في أذنه، اللون الأحمر للإشارة يلمع مع الأغنية المدارة، أشجار السمر في السيح متلهفة للسهر، وحين فتحت الإشارة غيّر طريقه واتَّجهَ يمينًا جهة مزارع بيع المشاتل، أخذ شجرة ياسمين، أجلسها بجانبه، نظر إليها نظرة مطولة، وسرعان ما عاد إلى البيت، كانت رائحتها تشبه رائحة أمه البعيدة.

***

نَمَتْ شجرة غريبة فوق قبر أبي، بها بذور صغيرة، مرت الريح وحملت بذرة، سقطت البذرة في حوش منزلنا، وكبرنا.

***

دائما أتخيّل الميت فاتحا فمه في الأبدية.

***

ينام تحت شجرة البيذام الساجدة في الحوش، يفترش حصيرا خزفيا، وأحلاما كرتونية، وحدقات هائمة، يخرج عصرا إلى السوبر ماركت، كرواسون نوتيلا، أو فطيرة زعتر تسد ثقب الليل.

لكنه البارحة خرج لمقبرة مجاورة، مربوط في طرف أحد مقابض جنازتها كيس مملوء «بطاطس عُمان»، و«كندرينو»، و«مينو غالية» قديم، و«أهلا» مثلّج، وروح بعيدة لن ترى الشمس بعد الآن.

***

حين يذهب رادمو قبري، وتأتي كلاب المقبرة لتشم ورد عمري وتلحس بقايا النوم في سرّتي أو ما تبقى من هواء في الأبدية: لن تجد غير ذراعي الضائعة في الخارج.

***

صورة المرحوم أبي، على جدار غرفة أمي، هي صورتي لاحقا.

***

الأموات الذين في الألبومات نشتهي صوركم ونخافها.

***

يبحث الموت كل يوم في غرف العناية المركزة لعله يصطاد شاعرا.

***

بعد أن مات أبي، أصبحتُ أراه اكثر من حين كان حيّا.

***

أقلّم أظفاري الآن، لا أضواء، لا سفن، لا شيء إلا الينابيع القديمة، وهدير الخسارات، وزعيق الموت، هذا الصعلوك النحيل، وراء النافذة.

***

حين تموت حتى لو صنعوا لك تمثالا، فلن يفيد ذلك لعودتك، حتى لو حنّطوك ووضعوك فوق جسر صحار ورآك الجميع، فإن موضوعك انتهى تماما برمته، فما بالك بالأكثر مرارة حين يرمونك في حفرة ويدوسك العدم وتمتصك جذور الأشجار حتى آخر نظرة من عينك؟

***

لا أعرف إن كانت دائرة الشؤون الفنية في صحار ستوافق على أن يكون قبري من الداخل لونه أزرق فاتح لشيء ما من البحر في روحي.

***

زمان، حين كنتُ لا أزال أحضر حفلات العزاءات، ومهرجان العيش واللحم في ختمة العزاء، وبعد أن وضعوا الصحون وقطعة اللحم المفضلة من الضلوع، شعرتُ أنني أنهش لحم الميت وشحمه وأمضغ كبده ومعاليقه و«مصارينه»، كم نحن جوعى لكل المشاعر!

***

تقول لي عمّوتي مريم: لماذا لا تزورني في مقبرة جاوان؟ أليس بيتكم الجديد قريبًا منها؟ هل لا تزال كما أنت قاسيا ولا تحب الناس ولا تخالط أحدا؟

- سوف أزورك حين أموت، رغم أنني حينها سأزداد قسوة ككل الموتى، ورغم أنه لا يهم مكان الدفن، لكن أظنهم سيرمون بي هنا قربك وقرب أبي

- تعال ولا تتأخر كثيرا، سنترافق لزيارة بيت آمنة تريكة عامر، إنه قريب من المقبرة
- لن أتأخر، لا بد يوما أن يكون لي قبر.

***

إلى من لا يهمه الأمر:

أنا لا أخاف الموت، إنما أخاف طريقته، رغم أنها لحظة وتمضي، المشكلة أنه لا يوجد صندوق أسود للإنسان، من يدفعه باتجاه العالم الآخر؟ هل ثمة شيء غير مرئي يخنقه أو يغلق عينيه وفمه؟ هل تتم العملية بمساعدة أحد نعرفه؟

بالمناسبة أيضا، وإلى من لا يهمه الأمر أيضا، أنا لست شاعرا ولا سينمائيا ولا فوتوغرافيا، رغم عشقي للسينما والشعر والصور؛ لدي عالم بداخلي وتعبت أكلم نفسي، فها أنا أكلمكم بهذا الشكل، كي لا أقتل أحدكم.

أحمد* ابن عمي الذي خرج للعب الكرة ولم يعد

إلى أحمد الشعيلي، ابن عمي الذي مات فجأة بدون سابق نظرة أو شرود، وترك وجناتنا دامعة وقلوبنا خرابًا وأرواحنا مشدودة نحو سنواته التسع والثلاثين، ابن عمي الذي خرج للعب الكرة ولم يعد حتى الآن.

شوارع الوقيبة الخامسة في صحار (فريج راشد بن حمدان) حيث بيتك الأخير مزدحمة بالذهول، والدهشة، والغربة، والغرباء، وأقراص الأسبرين، وكتب سيوران ونيتشه، ومصابيح الفراق، وأحلام كل السنوات، وتجاعيد وشحوب المثلث، واكتئاب العصافير فوق أسلاك الكهرباء، وضباب المسافة بين الحقيقة والخيال، والسهم القاتل في الحنايا.

***

النخلة الصغيرة (الصرمة) الحارسة لبابك من الخارج أقلقها انتظارك كثيرا.. أين أنت الآن؟

***

أقل من ساعة بين آخر ظهور لك في الواتساب وآخر ظهور لك في الحياة! وأنا لا أملك من رصيد التحمّل شيئا، ولا أزداد ضياعا.

يا لهذه الساعة من أوجاعي!

***

* رحل في 30 ديسمبر 2019.

كان إذا ما أتى العيد يطرق الشمس والقلوب بصوته المضيء في زوايا السكة.

العيد الذي سينهشني بعد الآن.

***

الفتى الراكض في حارة الكبرة/ الهمبار لا يزال يركض «كغزال يطارد درّاجة» في نبضنا. ها هو يتركنا لاهثين ووحيدين أمام كل الملاعب، والمرايا، وشواطئ الماضي، ومزرعة السويلمية، وجسر صحار، وثرثرات المقهى الغربي، ورذاذ الضحك المستمر، وأمنيات الإنسان الموقدة في المساء، وزهرة في حديقة حوشه.. الفتى الذي ما ظننا يشيخ يوما كيف لم يحصد من العمر سوى الرحيل؟

***

صندوق نظّارتي مقفل على ضحكته الأخيرة.

***

الريح جريحة قرب النخل الشمالية.

***

صورتك المنتشرة مؤخرا تخرج من عينيها نجمة دامعة على تلال أحزاننا.

***

أسى وأسف وحسرة وحرقة وغُصة وغُمة مصرورة في أكياس جدتي الزرقاء، ومعلقة على شريشة البيت القديم.

***

تسبقني إلى أشجار المانجو في الظهيرة البعيدة..
تيتمت كل الثمار يا أخي.

***

في السنة الجديدة وكل السنوات الآتية لن أحذف رقم واتسابك يوما، سنظل متواصلين هناك في الأبدية، أرسل لك أغنية وترسل لي صورة جذر شجرة تأكل خبزا من مخبز الشاطئ القريب من المقبرة، كأقل عزاء لهذا الجرح الذي ما زلت غير مصدّق سكّينه.

صالح* والرحلة الأخيرة

صالح بن أحمد البلوشي، صديق عزيز وقديم يرحل البارحة، جار لنا وللمقبرة كذلك، شاب في الثلاثينيات من أحلامه، ظل الليل يخفيه في سكك جاوان، ومزرعة العامري، والشريشة الذابلة رموشها أمام بيتهم، والعزبة الحداثية خلف صالة أوريدو، ومطعم ليميه، والكتب التي أحب أن يقرأها ذات ضجر، ومرسى صحار قبل ثلاثة أيام، والأغاني الهادئة، وثرثرات الأماني، والضحكة الناعسة والنامية على جدران حارتنا، والبحث الدائم في الكبرة (السوق التجاري مقابل مجمع صحي صحار) عن حقيبة سفر بسيطة وأنيقة، ها هو يحزم كل أيامه في ذاكرتنا، ويُقلع باتجاه الأبدية.

* رحل في 27 يناير 2020.

طالب* في الذاكرة الأولى والنهاية

طالب الشعيلي، رحل وسط ذهول الجميع، في العقد الخامس أظنه، لم تتغير ملامحه وطقوسه منذ زمن بعيد، جار وقريب، يذكرني بأبي وجدتي كلما رأيته، وقد تقدماه للعالم الآخر بعد كل تلك الزيارات المتبادلة في الأعياد خصوصا، جزء كبير من الحارة والمزارع والشمس والغروب وأحلام النخلات «العوّان» التي فقدت متأملها في لهيب القيظ والأقدار.

جاوان/ الوقيبة مجروحة لأقصى المآقي في الفجيعة، تتدحرج أحزانها في الهواء وترتطم بالنوافذ وتقرع كل جرس وباب ودهشة وأشواق وخاصرة وغياب.

شيء لا يصدق أن يتسارع الرحيل هكذا، إصابة بكورونا ثم تعب شديد وآلام وترقب وليل ورحيل عبر جسر صحار لمحلات عمانتل وبنك أبوظبي ومطعم صدف الإيراني وضحى الخليج والسينما. كل هذه المعالم الأمامية للحارة لم تسعفنا نحن الذين خلفها في نسيان ما حدث فجأة، ورغم الاحترازات إلا أن المقبرة امتلأت بالوجوه المتباعدة والكِمامات الصارخة المحتشدة بالغرابة الفائضة في العيون والأيام وقد تفاقمت الرعشة.

* رحل في 1 أكتوبر 2020.

عين وجناح وقلب
ورحيل الأديب محمد الحارثي*

محمد الحارثي، ترحلُ في الصباح الباكر كحلم بدأ توَّه، ترحلُ بكل صدقك وانتمائك لنصك ورحلاتك، لقد عبرتَ الرحلة الأخيرة يا هذا السادم في تتبع اللغة من بلاد لبلاد، أيها العُماني، يا من جمّلتَ الموت حتى استطال عليك وبدّدك، لقد حوّلت كل ميتة من ميتاتنا إلى قصيدة، وكل حلم تعذر علينا إلى جناح، ترى أنعي مَن؟ ومَن ينعي مَن في هذا الزمن الأغبر للأحوال والشعر والمتلقي والرحلة؟

***

في عام 2013، كانت الحياة أقل خوفا من الناس والوجوه والعلاقات، وفي أمسية مؤجلة بمناسبة اليوم العالمي للشعر أحياها كل من عبدالله حبيب ومحمد الحارثي وسماء عيسى، ذات ليلة ناعمة، وبعد أن انتهى الحلم، وملأ الريش الضلوع، استأذنتُ من عبدالله حبيب سريعا من داخل القاعة بالمغادرة، وكانت وما تزال تربطني علاقة حميمة بالحمودَين الشكيلي وسعود، فوقفت معهما في الخارج ندفّئ ملامحنا بأحاديث والتقاطات حُلوة، وبدأت الدائرة تكبر، فنصغر، كل لحظة ينضم إلينا أحد، حتى كبرت الدائرة كثيرا، ككل حياة، وربما تتناقص هذه الدائرة مع

* رحل في 27 مايو 2018.

الأيام، ولا أذكر في الحقيقة من انضم ليلتها وقوفا، لكن أحدهم؛ محمد الحارثي، الذي فور انصرافي «ببطء متسارع وتسارع متباطئ» (الجملة مستوحاة من أحد نصوص محمد الحارثي) تناهى إلى مسامعي صوته يسأل حمود الشكيلي: «من صديقك هذا؟»، ثم غيبنا الزمان، وكان هذا أول لقاء وجها لوجه بمحمد الحارثي دون تعارف شخصي، عرفته سابقا من أحد كتب عبدالله حبيب في شهادة حول الراحل الآخر سركون بولص، من ضمنها أنه في أحد صباحات أمريكا البعيدة التقى حبيب والحارثي بسركون بولص في مفاجأة حُلُميّة، وكان يومها الحارثي يقرأ نصوصا لسركون، والحبيب عبدالله يقوم بعمل حركات بجسده تتماهى مع المقروء، ثم عرفته في كتابه «عين وجناح»، وكتاب «ورشة الماضي»، ونصوص «قارب الكلمات يرسو»، وبعض نصوصه وقصائده هنا وهناك.

***

أما اللقاء الذي تحدثت معه كثيرا فيه وتعرفنا على بعضنا بعضًا وذكّرته بحكاية سركون بولص ويوم الشعر العالمي فكان في عام 2015 كما أظن، وربما في معرض الكتاب، في دار مسعى الجديدة، المتألقة والرشيقة، فقد كنت أعرف الشاعر محمد النبهان صاحب الدار معرفة ليست بالعميقة سابقا وأظنها عبر الإيميلات، ما عدت أذكر جيدا للأسف، على كل حال كنت مندمجا في حديث مطول مع النبهان حين دخل علينا محمد الحارثي بشحمه ولحمه ليسلّم على محمد النبهان، ابتهجتُ كثيرا، كأنّ البحر جاء بقيعانه إلى هنا، وتبادلنا أحاديث بسيطة

لكنها مدغدغة للروح على مرأى ومسمع من النبهان الذي غادرنا قليلا لظرف ما، في نفس اللحظة التي جاء فيها القاص وليد النبهاني الذي نتعارف أنا وهو ملامحَ فقط لكننا لم نلتق سابقا وجها لوجه، ولكن كنا نتبادل رسائل كثيرة، وقال محمد الحارثي الذي يعرف وليد النبهاني مسبقا ما معناه: «أخيرا التقى الوليدان وسيولّدان المعنى الآن»، وقد علق الحارثي أكثر من ذلك، فقد أعجبته صدفة أنني ألاقيهما للمرة الأولى هكذا، ولا أذكر جيدا الحوار الذي دار بيننا ثلاثتنا بعد ذلك وكيف انتشرنا في أروقة المعرض كلٌّ لغايته.

الغريب أنني أنا وأكتب هذا، أتذكر مقولة قديمة ولا أتذكر صاحبها: «الذاكرة تحت إمرة القلب دوما»، وعلى ذكر القلب فإن القلب غدر بصاحب المعنى الحقيقي للقلب.

***

في بهو فندق جولدن توليب السيب، أيام معرض الكتاب، أظن في عام 2016، وأظنّ الساعة تجاوزت العاشرة مساء، في منتصف اللوبي كنت أقف مع الشاعر خميس قلم، وإذا بيد حانية تمسح أكتافنا من الخلف جاءت من المصعد تقصدنا، كانت يدا محمد الحارثي العجولتين، بيجامة نوم بسيطة، ونظارة عتيقة، هبطتا معه من السماء الرابعة كما قال لنا حين سألناه، وحين هجمنا عليه بأسئلة كي يطول وقوفه بيننا: «من أين أتيت وأين أنت وكيف صحتك الآن؟..... ». وكان هذا ربما آخر لقاء وجها لوجه قريب وسريع لمستُ فيه يديه البعيدتين.

***

لا أذكر متى وكيف تبادلنا أرقام الهواتف فتوالت رسائل الواتساب المتبادلة التي لم تكن كثيرة جدا في مجملها، لكنها كانت حميمة أحيانا، ومنقطعة تارات ومسافات، واللعنة على هاتفي الغبي ذاك الذي ضاع وأضاع كل شي جميل بداخله، وتبقت لدي في هاتفي الحالي رسائل أخيرة بعد مرض محمد الحارثي وانقطاعاتنا التي طالت، من ضمنها أنني بعثت له رسالة واتسابية فكان رده أنه أضاع كل أرقام الهواتف، فذكرته بي. أما من ذلك الهاتف الساذج القديم فأذكر أنني بعثت له حين اشتد مرض قلبه رسالة من الجيد أنني نسختها في الإيميل كنوع من التفكير في الاحتفاظ برسالة تحمل ذكرى معينة ربما لنص قادم أو شهادة ما، لكن ليس للموت:

«عزيزي محمد الحارثي

إن صح خبر وعكتك ومرضك فإن عيني وجناحي يتألمان لأجلك.

أتمنى لك السلامة؛ لأنك السلامة كلها. وألا تخذلك البوصلة أيها الرحالة في قلوبنا».

وقد خذلته البوصلة، والرحلات، والسماء الرابعة في جولدن توليب، والكتب، وأمريكا، والواتساب، وأسرّة المستشفيات، والعودة للكتابة بقلم رصاص.

إلى الأديب مبارك العامري*

رحلتَ في الضحى الناعس إذ الصفارد لم تبرح الحقول بعد، وأحلامك لا تزال عالقة في رموشك، والندى لصيق البيذام والفرصاد والعشيقات والجرائد وصمت السكك..

أقلّب قصائدك المبللة بالهموم والإثمد، كل هذا الألم القديم الذي تجدد الآن في أقاصي العشب والروح والفيس بوك وحبات الرمان المنفرطة تاركة لونها في كل حصير وذاكرة..

بينما أحشاؤنا يصفر فيها الفقد والشيب.

* رحل في 5 أبريل 2020.

وداعًا الفنان سعود الدرمكي*

في بداية التسعينيات وما بعد التسعينيات أيضا، كنا نتسمر في رمضان أو أحيانا من خلال برنامج «الناس والصيف» أمام الشاشة الصغيرة جدا ذات الخلفية الضخمة مجازا وحقيقة، نتسمر لنتابع من ثقب ناي جديد صالح زعل وسعود الدرمكي وغيرهم من ذلك الجيل الذي شاركنا حكاياتنا وأيامنا، نتسمر لنحلم ونضحك ونحب ونتذكر وتتلطف طباعنا ونعيش مع سلوم الحافي في مسلسل «سعيد وسعيدة»، أو رامس في مسلسل «صيف حار»، أو ثابت الملبق في «عايش زمانه»، أو هاشل في «الجيران»، أو دوره في «أبو منازل طالع ونازل»، وغيرها من الأدوار التي أتقنها سعود الدرمكي، والتي لا تزال جزءا أصيلا من تكوينات وذاكرة الماضي لدينا، ولن تمحى أو تموت.

اليوم نتسمر أمام شاشة صغيرة أيضا لكنها شاشة هاتف هذه المرة، وبشيء من الخوف والحنين والحزن نتلقى خبر رحيله.

* رحل في 14 أبريل 2020.

رشاد*.. انهيار المبنى الأخير

رحيل حاجّيه رشاد في باكستان، بعد صراع مع ارتفاع حاد للسكّري لثلاثة أيام بالمستشفى، بنى معظم بيوت وأحلام حارتنا وبيتنا والكثير من بيوت صحار، عاش وأسرته وسطنا زمنا طويلا، إسمنت وطابوق و«بلستر» في وجه الحياة الغادرة، وخلّاط كبير تدور فيه الأيام والسنوات، وجدران مطلية بكل ألوان الغياب وأحواله، نحدّق إليها ونعضّ على الذكرى.

يمكن اعتبار حاجّيه رشاد من السكان الأصليين للوقيبة، حارة البرج، خلف سينما صحار، نهاية مفتوحة باتجاه المزارع، وروح مدفونة في «ساس» كل بيت.

* رحل في 27 مارس 2021.

طالب حسن*.. رحيل حارق

طالب البلوشي يرحل في خبر ذابح يتداوله الأصدقاء من الوريد للوريد ضحى هذا اليوم عن تعرضه لحادث أودى بحياته وابتسامته الدائمة. أحيانا المحبة كلها تعني ابتسامة، عملنا معا قرابة السنتين أو الثلاث، كانت المودة والضحكات المتناثرة عنوانا، شارع صلّان الذي تملؤه أدخنة المشاكيك عادة، أظن الليلة يملؤه الذهول والذبول من خور حبيب لحديقة اليوبيل، ماذا أفعل الآن بكل أرصفة الذاكرة؟ كم مرة ستخرج النجوم من وادي صلّان مبللة بالوداع ومنغرسة في الحزن وتتقاسم الفجيعة مع كل نافذة وشجرة؟ ما أضيق الشاطىء خلف مجاديف غيابك!

* رحل في 4 أبريل 2021.

نـوّاف*، أو روح تـحت البرج

نواف آل عبدالسلام تأخذه حوادث الأيام من أمام برج الوقيبة البارحة خلف السينما كنوع من أفلام رعب الحياة والموت، وقد بانت شروخ الذكريات على البرج. هذا الفتى البسيط المازح ذو التعليقات الساخرة العذبة التي ستظل تعبر جسر صحار وبكاء الأصدقاء والجيران إلى دوّار الفلج، حيث اصطدمت هناك وتماهت مع البرد والخطى وتبعثرت في الأرجاء والأحلام. صدمة بللت أرصفة الماضي والبيوت وعطلة نهاية الأسبوع والينابيع هنا، إذ يأبى هذا العام الثقيل إلا أن يختتم جراحه ويذيب آخر شمعة في الروح والسكك والمواعيد.

يا للعمر الذي يمر ولا يلتفت لأشيائنا فيرمينا للحتوف دون سابق نظرة أو وداع أو عودة!

* رحل في 23 فبراير 2021.

صالح* وهو متجه للرحيل

زوج عمّتي، صالح حسن البلوشي، الهاملية/ شناص، جمعتنا به ذكريات قديمة وبعيدة ولاحقة وغائرة في كبد الأبدية وسهوب الأيام والذاكرة، يُصاب بجلطة في الساق، تتطور لمضاعفات كارثية لا تخطر على قلب ولا على بال، ثم الصدمة ربما تسبب نزيفا في الرأس، ويرقد بدون وعي في المستشفى زمنا، وعيون الكل ترقبه متألمة ومصعوقة ومستغربة ومرتعشة، وبرق ورعود وخوف في الروح، ويرحل اليوم بعد تسارع كل هذا.

الحياة رخيصة جدا، «رجل لا في خير الناس ولا شرها» يمشي ويأكل وفجأة يُصاب بكل هذا ويرحل!

ما أرخصك أيتها الحياة! وما أحزننا وما أتعسنا بهذا وذاك!

* رحل في 6 سبتمبر 2021.

إلى الحلّاق الهندي المعروف باسم «كنّان»*

كان جارنا في الكبرة/ السوق التجاري مقابل مستشفى صحار القديم، *«كيف حالك يا جار... لو تعرف شو صار» (فيروز)..*

***

كل الأغاني النسائية الهندية حزينة أمام مرآة حلاقك.

***

صورتك المتداولة في الكفن كان قميص حلاقتك الأبيض دوما معادلا موضوعيا لها.

***

كل تقليعات قَصة الشعر واللحى تومض وتتراءى لي الآن وتختفي، كي أرتاب أكثر.

***

في الأعياد، زحمة لديك، في الغياب رحلت وحيدا وغريبا.

***

لقمة العيش أبعدتك عن موطنك عمرا كاملا، ما زلتُ لا أفهم قيمة الأشياء وقيمتنا في الحياة.

***

---

* رحل في 22 مايو 2021.

زمن طويل وأنت تحلق اللحية والشعر بنصف ريال أحيانا لزبائنك القدامى، لم ترفع عليهم التسعيرة، تكتفي بزيارتهم الدائمة، أيها المتلفت جهة المسجل الصوتي سارحا في الأغاني والأحلام.

***

الموت مقص هائم في الريح.

أنا والهروب

يجري الأطفال في الحارة راكبين سعفة نخلة يابسة يتخيلونها خيلا جامحة لا تُهزم، وتجري أنت لمكتبة المدينة الملاصقة لأستوديو كوداك في «عمارة شريفة» لتقتني مجلة العربي. يذهبون بالعيدية لمحلات الألعاب والحديقة العامة قرب مدرسة صحار الثانوية، وتذهب بالعيدية لأستوديو الأغاني؛ لتمتلك نسخة أصلية من ألبوم لفيروز، يناديك في عودتك صاحب محل الألعاب الإلكترونية الجديد في الحارة لتلعب في إحدى الشاشات لعبة القتال، تصنع في مخيلتك مجرمًا وتمضي لتقاتله. تقلّب مجلاتك وكتبك الأولى التي سرّبها ابن عمّك من الكليّة حين يشكّلون فريق كرة قدم، ويمرّون عليك فيصطادونك في الصفحات الأولى تجري خلف كلماتك. لقد كبر أطفال الحارة، صاروا أطفالا كبارا مرحين، وأنت شخت بين الرفوف، وأغلفة الكتب، وظروف الزمان، والتعرق على أرصفة المواعيد المتناسلة في العراء، ونظرات نقاد الحداثة، وكلمات سبارتاكوس الأخيرة في ذلك المزج الأول يرميها أمل دنقل عليك. في الصيف، يذهب أصدقاؤك لمدن البرد والنسيان، بينما أنت يلتهم منك الأطبّاء كل أصيافك. تكبر ذاكرتك وتهرم لوحدك فتجلس يوما على كرسي خشبي مزروع في الكورنيش، وجهك للرمل، وظهرك لمطعم كرم بيروت، وقلبك لفتاة قديمة كانت تلوّن أحلامك، قميصها شرفة على البحر، تتعارك الأزرار مع الزبد، عبثا يحاول الموج أن يبلله، يعبر من كانوا أطفالا ويرونك مرة أخرى وحيدا وبعيدا عن الشعراء كعادتك، كيف يمكن للهدير أن يقرأ قصائدك؟ كيف يمكن لأضواء الكورنيش أن تعود في

مساء الغد حين تتلاشى صفرتها تحت لون عينيها وتذوب؟ كيف يمكنك أن تراضي حديقة الطفولة وأنت لم تعد هنا، وفي يديك بقايا طباشير قديمة وقميصها المفتوح للبحر والنثر المفتوح على الزرقة؟

***

تركتُ مقاهي الشيشة غرب صحار منذ زمن بعيد، الليلة عدت لأحدها، أخبرني النادل أن ثمة كلابا وغزلانا وقنافذ تأتي هنا كل ليلة، تبحث عني، تجلس في زاوية، لكنها الليلة لم تأت. بعد ذلك، جاء فقط قنفذ بسيط، حاولت أن أمد يدي وأبادله التحية، لكن أشواكه أخافتني.

***

هرب أحد أبطال خيالات يقظتي، أمسكته وحيدا في مقهى قرب نهر يشيّش ويستمع لفيروز، اعترفَ أنها ليست المرة الأولى التي يهرب فيها إلى هنا، سامحته، فأنا مهذّب جدا مع أحلامي.

***

كلما خرج للشارع وضع هاتفه في الوضع الصامت واحتضن به أذنه كي لا يراه أحد.

***

كتبَ ونشرَ كتابات كثيرة كي لا يقول قصته.

***

في الطفولة كنا نلعب لعبة اسمها «فكّورة»، تشبه لعبة الغمّيضة أو الاختباء، لكن الذين يبحثون عنك في الفكّورة لا يمسكونك، إنما بمجرد رؤيتك يشيرون إليك صارخين: فكورة فلان. كنت دوما أجري وأختبئ فوق السطح كقط

ضعيف، مع الوقت اكتشف الأطفال اختبائي الدائم، لم يتغير شيء إلى اليوم، ما زلت أختبئ فوق السطح وأماكن أخرى، في لعبة أكبر وأكثر عددا وحلكة، أكثر رعبا وضعفا، لكن هذه المرة لا يمكن للذين يبحثون عني الاقتحام حتى في لحظات الوداع. أمّا عن الدرس المستفاد من هذا التذكار البعيد فأنه يمكن أحيانا الاستفادة من مرحلة الطفولة مع إقحام تغييرات طفيفة. اليوم حين يصادفني شخص قديم في الشارع، ويمسكني، أشعر كأنه يقول لي: فكورة، وأنا أقول بداخلي: كيف عرفت مخبئي أيها الوغد؟

***

أحيانا أهرب من ندماء السهرة سريعا، ليس لعيب فيهم، لكن كي أذهب للغرفة وأحلم دون أن يقطع أحلامي أحد.

***

أنا مدمن أحلام.

***

أمشي وراء ظلي في هذا الليل، هاربا من جروح العيد، التي تكبر في المآقي، وكلما رفعتُ عيني للنجوم، لا أشعر بأي منفعة لها أو لي.

***

حتى لو فكّرتُ ليلة العيد الكبير في تهريب وتخليص بعض المواشي الخائفة المربوطة أمام البيوت وفي الحيشان، فسوف يركلني أحدها محتدًّا، ركلة قاتلة ربما، ظانًّا أنني الذبّاح.

أنا والكتابة.. والكتب

جئتُ إلى المعرض من أجل عيني كتاب واحد، لكنني وجدته مهترئا بفعل الزمن وأيدي القرّاء، ومنشغلا بالنظر في أعين الزوّار، ومندمجا مع كتب رخيصة المضمون، فخرجتُ مسرعا تاركا المعرض، والكتاب الذي جئتُ لأجل عينيه، والأماني، والأحلام.

***

«كتاب حياتي يا عين
ما شفت زيّه كتاب
الفرح في سطرين
والباقي كله عذاب».

(موّال شعبي مصري)

***

«الكتابة انفتاح جرح ما». (كافكا)

***

بَعثَ في الظهيرة رسالة إلى أحد أصدقائه الموتى، شرح فيها بكل اختصار عن شخص يظهر له هذه الأيام في كل مكان، بغرض التحدث معه، يثرثر في كل شيء، وفي مواضيع ترفع الضغط، وهو سبب رئيس أيضا لأمراض الشرايين والسرطان وانفجار المرارة، وذكر في الرسالة أنه ينوي

غلـق هاتفـه في الإجـازة بسـبب هـذا. لكـن وحـدة البريـد بصـحار، فـرع الطريف، دائما يعيدون الرسالة لعدم كفاية الحياة لكل هذا.

***

طـوال الليـل، وحتـى الصـباح، يكتـب رسـائل إلـى حميـر وحشـية، خطوطهـا التـي علـى جسـدها بعيـدة ومشـغولة دومـا. وحـدة البريـد، في صحار، فرع الهمبار وليس فرع الطريف هذه المرة، يطالبونه بالعناوين

***

يكتـب نصوصـا مفتوحـة، يحـاول إدراجهـا أحيانـا ضـمن مجموعـة قصصية قصيرة جدا، وأحيانا يتركها على أنها قصيدة نثر، ثم لاحقا وفي النهاية يغلقها على الاثنين ويترك الخيار مفتوحا مثل فم العدم.

***

أكتبُ لأنني لا أملك مسدّسا.

***

«الليلة كنتُ في حفل توقيع إصداري، شعرتُ أنني أبيع ألمي، كرهتُ نوعا غريبا من نرجسيتي، كرهتُ نفسي، شكرا للذين زاروني في مرضي هذا، لكنني كنت حزينا لا أعرف لماذا، هلمّوا، آلامي موقعة، خذوا ألمي ونرجسيتي بتوقيعي، هيّا».

من إصداري: «على طابوقة ينتظر موعدا».

***

الكتب التي جرينا خلفها مسعورين لسنوات عديدة ومديدة (تنعاد علينا) في كل معرض ونحن لسنا بخير، حملناها من غرفة لغرفة، ومن تحت سرير لفوق خزانة ملابس، وفي كراتين وأكياس، وفي السفر والحِل والغل والخسارات، أصبحت متاحة الآن إلكترونيا بكل يسر في القراءة والتنزيل.

أعلم، أعلم مكانة الورق لديكم ورائحته، وردود أفعالكم، لكن يوما ما ستصبحون ونصبح جهازا لوحيا وألواحا مُجهِزة على كل شيء.

***

لديّ شيء بداخلي ربما لا أعرفه، وبسببه أكتب عن كل شيء إلا عنه.

***

كانت من أهم لحظات حياتي تلك اللحظات التي كان يرُدُّ فيها عبدالله حبيب على رسائلي البِكر، رسائل قارئ شاب يبتهج بواقع جديد ملموس مع الاحتفاظ بالجانب الروحي الذي استمر وطغى، ولا تهمني التفاصيل التي تلت أو الكتاب الذي نشرته لاحقا حول ذلك، اللحظات الأولى تلك التي يمكن خلق وتكوين كل شيء منها والانطلاق عبرها وبعدها، هي النطفة الأولى، الحماقات الحلوة، الحمّى العذبة التي ما زالت علاماتها عالقة.

***

أبدو رجلا نبيلا ربما، أو متبلدا عن العالم برغبتي، حين أمشي في السفير مول أو على كورنيش صحار ويداي في جيبَي دشداشتي، لا ألقي التحية على أحد، طاقيتي يهرب من تحتها من هنا وهناك بعض الشعر المتعب، ثم أعود إلى البيت أكتب نصوصا قصيرة وأتركها، لكنها بعد ذلك تشغل تفكيري طوال اليوم ولا أتمكن من العودة إليها، وحين أصادفها في مسوداتي لا ترحب بي أبدا، وهذا لا يمكن لأي كاتب احتماله.

***

طوال الليل يكتب في شاشة الحاسوب نصوصا قديمة دوّنها في دفتر مدرسي أزرق، كلما قلّب صفحة تذكر الألم، ما ينقله يوجعه من جديد، ما يتجاوزه ترتجف أسنانه لأجله، أطفأ الحاسوب، واتجه للخارج، كانت الأشجار نائمة، والليل وحيد.

***

«الاستعارات حقيقية أكثر من الناس». (بيسوا)

***

كتاباتي طيش شباب لا أكثر، لا أعرف ما قيمتها حين أذوي يوما كورقة بيذام سقطت قبل قليل في حوشي، لو كنت أتعاطى الحشيش ربما كنت جرّبت شيئا أقل وطئا وأكثر رحمة، شيئا مبررا ومفهوما أكثر من هذا الإسراف اليومي في التفريغ في هذه القوالب البائسة.

***

«من ذا الذي يستطيع أن يفصح عن مكنونات نفسه بمجرد الكلمات؟». (محمد المنسي قنديل).

***

ربّما أسوأ شيءٍ قمتُ به أنّني كتبتُ كتبًا، وهذا ليس تواضعًا نيتشويًّا كي أبيّن عظمتي، بل ما جدوى ما فعلتُ في حياة ستطحنُني يومًا وكأنّني لم آت؟ ما جدوى أن أبيع ألمي وأنشرَ غسيلي الوجودي؟ أكرهُ كتبي لأنّني بعتُ ألمي بكلِّ وقاحة كي أكون معروفًا ربما، أو لي قيمة أو في مصافّ الأدباء والفلاسفة ووو! أنا جرثومة في النِّظام الكونيِّ لا أُرى حتى بالمجهر، لا أعرف إن كانت الكتابة بديل الانتحار، وكأنّني إن ذهبتُ سيخسر العالم ولا بدّ أن أكتبَ كي أبقى! يا للسخرية! ضحكتُ على نفسي أنّني مهم، يا لغبائي وغروري في وضح النّهار!

***

هذا آخر كتاب أكتبه، كل مرة أقول ذلك، وأعود لأكتب غيره، ربما لأنه يتضح في كل مرة أنّي لم أقل ما أريده بعد، لكن هذا آخر كتاب صدّقوني، فقد تعبت من عدم قدرتي على قول ما أريده حين أنتهي من أيّ كلام وأيّ كتاب وأيّ حضور وأيّ سراب.

فهرس المحتويات

بمناسبة عيد الحب..... 5

بمناسبة انبعاث دخان من حفرة بأحد جبال شناص واحتمال بركانيته..... 8

هواتف..... 10

بمناسبة كورونا في بداية ظهوره 13

بمناسبة ظاهرة القمر العملاق الليلة..... 15

بمناسبة حظر التجول الليلي أيام كورونا..... 17

بمناسبة عودة نشاط الخياطة بعد غلقه بسبب كورونا..... 19

بمناسبة طقوس الشواء العُماني في التنّور 21

«زمن الهموم الكبيرة»..... 23

سعفة تدغدغ رغباتنا..... 26

بمناسبة الإجازة..... 28

بمناسبة رمضان..... 30

بمناسبة إعادة فتح الحلاقين وصالونات التجميل أيام كورونا..... 32

بمناسبة المنخفض الجوي 35

نظرية البهجة لدي 37

بمناسبة كسوف الشمس..... 40

بمناسبة عودة فتح الحدائق والمنتزهات أيام كورونا..... 41
بمناسبة منع ارتياد الشواطئ أيام كورونا..... 43
زرقة لا تنتهي..... 45
بمناسبة اليوم العالمي للشاي..... 46
أنا والفلوس..... 48
أنا والخوف..... 50
أنا والمطر..... 51
أنا والعدم..... 52
أنا والحياة..... 57
أنا والموت..... 61
أحمد الذي خرج للعب الكرة ولم يعد..... 66
صالح والرحلة الأخيرة..... 69
طالب في الذاكرة الأولى والنهاية..... 70
عين وجناح وقلب ورحيل الأديب محمد الحارثي..... 71
إلى الأديب مبارك العامري..... 75
وداعا الفنان سعود الدرمكي..... 76
رشاد.. انهيار المبنى الأخير..... 77
طالب حسن.. رحيل حارق..... 78

نوّاف، أو روح تحت البرج 79
صالح وهو متجه للرحيل..... 80
إلى الحلّاق الهندي المعروف باسم «كنّان» 81
أنا والهروب 83
أنا والكتابة.. والكتب..... 86

وليد الشعيلي

- مواليد صحار، سلطنة عمان، 1983.
- صدر له:

- «القادمون والمغادرون»، نصوص، المنتدى الأدبي، مسقط، والانتشار العربي، بيروت، 2014.
- «قطار دائخ في الظلام»، نصوص، بيت الغشّام، مسقط، 2015.
- «جفنا الليل أو لعبة لا تنتهي»، نصوص، الانتشار العربي، بيروت، 2015.
- «أرجوك لا تمت»، مراسلات إلكترونية متبادلة مع عبدالله حبيب، الانتشار العربي، بيروت، 2016.
- «مواجع فقاعات الشيشة»، نصوص، الانتشار العربي، بيروت، 2017.
- «على طابوقة ينتظر موعدا»، شذرات، دار مسعى، كندا، والجمعية العمانية للكتاب والأدباء، 2017.